بلحسن بالي

المرأة الجزائرية

خلال حرب التحرير

1954 - 1962

ترجمة : د. صاري علي حكمت

ثالة
THALA EDITIONS

بلحسن بالي

الـمـرأة الـجـزائـريـة

خلال حرب الـتحريـر

1962-1954

ترجمة: د.صاري علي حكمت

عنوان الكتاب: المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962

المؤلف: بلحسن بالي

الإيداع القانوني: 2014-1179

ردمك: 978-9947-59-016-4

رقم النشر: 2014/348

الإهداء

إلى المرأة الجزائرية المحقورة، المعذّبة، المسجونة و المجروحة،

إلى المرأة الجزائرية المقاومة و المناضلة و المكافحة،

إلى المرأة الجزائرية الأخت، و البنت المجاهدة،

إلى المرأة الجزائرية التي هزمت العدو

أهدي هذه الشهادة المتواضعة،

شهادة تقدير و عرفان و حبّ

بلحسن بالي

فهرس

تقديم

للدكتور صاري علي حكمت
أستاذ محاضر في الأدب، جامعة تلمسان

و عضو مؤسس للاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ الآية 154، سورة البقرة (2)، و الصلاة و السلام على سيدنا و نبينا و مولانا محمّد قائد المجاهدين و القائل "...إن الأنبياء لما ماتوا سُمّوا أمواتا، و إذا متّ يقال قد مات و الشهداء لا يسمّون موتى"، و القائل: "من لا يشكر النّاس لا يشكر الله". و نحن نشكر المجاهد السيّد بلحسن بالي على اجتهاده في التّعريف بتاريخ الثورة الجزائرية المباركة، و بمناقب المجاهدين و الشهداء الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز.

ألهم الله تعالى المجاهد بلحسن بالي بتأليف هذا الكتاب "مشاركة المرأة الجزائرية في حرب التحرير" الذي يدلّ على الدّور الجوهري الذي قامت به أمّهاتنا.

المجاهد بلحسن بالي، رجل جاهد في سبيل الله حقّ جهاده و نجا من الموت بأعجوبة في عدّة مناسبات، و باع نفسه لله فقاتل عدوًا احتل البلاد و نفى وجود هوية العباد. و رغم كل هذا _ فهو لا يكنّ الكراهية للعدو بل ظلّ متفائلا محبّا للحياة يحدوه الأمل... و بقيت الابتسامة لا تغادر شفتيْه.

لقد دفعه مزاجه إلى تأليف هذا الكتاب الّذي يُعتبر تصريح حبّ للّتي تعطي الحياة ألاّ تعطي ألاّ و هي المرأة، فيبيّن لنا المجاهد بلحسن بالي مكانة المرأة الجزائرية المجاهدة و دورها المتعدّد الجوانب إبّان الثورة التحريرية. فلم تقتصر مشاركتها في اللوجيستيك فحسب أو في دورها التقليدي من طبخ و مداواة الخ... و لو أن هذه الوظائف أساسية و شريفة، و لكن كانت أيضا مقاتلة ! تَقْتل و تُقتل و هذا يبرهن على أن ثورتنا خدمت قضية المرأة و عبقرية جبهة التحرير الوطني، كونها حقّقت الثوران بين الأفكار التقدمية الضرورية لإنجاح الثورة و الأصالة الجزائرية العربية الأمازيغية الإسلامية، و هذه الوسيطة تظهر جليا في وجود نساء من أصل أوربي و من ديانات مختلفة بجانب الجزائريات، و يجب أن

لا ننسى الدور الرائد الّذي لعبته الثورة الجزائرية في تحرير المرأة دون انسلاخها من الذات. كما أنّنا نقرأ في سياق هذا الكتاب عن إحدى المجاهدات مليحة حميدو و التي قدّمت نفسها فداءاً لإخوانها المجاهدين.

نشكر المجاهد بلحسن بالي على اهتمامه بالشهيدة مليحة حميدو التي استشهدت و لا تزال حيّة عند ربّها ترزق و لكنّنا لا نشعر.

و قد عرفت مليحة حميدو من خلال ما كانت تقص عليّ عن ملحمتها. كانت أمي فاطمة الزهراء قارة مصطفى بنت الدكتور قارة طبيب الثورة، زميلة لمليحة حميدو في الدراسة، و حافظت عليها في ذاكرتها تحت صورة ملاك كريم، و هذه هي الصورة التي نقلها لنا المجاهد بلحسن بالي من خلال كتابه هذا، خاصة و أنه قدّم الشهيدة كخاتمة المجاهدات...

كما أنّنا _ من خلال الكتاب _ نلمس الثقافة الإسلامية للمؤلّف إذْ يشير إلى القرآن و إلى الخطاب الديني، كيف لا و هو ابن العبّاد، ابن زاوية سيدي بومدين... يقول الله تعالى في كتابه عن المجاهدين ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ﴾ (الآية 23 من سورة الأحزاب).

أدرك الكاتب هذه الحقيقة فجسدها من خلال أسلوبه في كتابة هذا النص. و العجيب أنّنا نرى رجلا كان سلاحه المسدس يعود من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد بناء صرح تاريخ الجزائر بواسطة القلم الذي أقسم به تعالى: { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ }، (*الآية 1، من سورة القلم*).

و من السلاح إلى القلم و كأنّ بلحسن بالي يتّخذ من الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية العصرية رمزا للمقاومة ضدّ الاستدمار و هو الذي قال : "إن المرأة من حيث ما هي امرأة، تظهر مرتبة الانفعال و هي مرتبة الإمكان و لها الشرف البازغ و المجد الراسخ، و لولاها ما ظهر لأسماء الألوهية أثر".

فالمجد و الخلود لشهدائنا الأبرار، وجزا الله تعالى عنّا المجاهد بلحسن بالي أحسن الجزاء.

تلمسان، 10 أكتوبر 2013

مقدمة

شاركت المرأة الجزائرية في الكفاح ضد قوات العدو بصفة فعالة و شجاعة لا تزحزحها المحن، فجندت بالمدن و الجبال وزجت في السجون و المعتقلات، كما كانت حاضرة و بقوة في مختلف التظاهرات و المسيرات و الإضرابات.

إنّنا لا نستطيع أن نوفي حق المرأة الجزائرية خلال ثورة حرب التحرير، لأنّها كانت دائمًا في الطليعة، أعطت درسا لا ينسى لأخواتها في كل دول العالم الثالث عامة و الشعوب العربية الإسلامية خاصة، أين اعتبرت رائدة في المقاومة من أجل الحرية، و لا تزال اليوم موضوع إعجاب يضرب به المثل. فإن كان دور المرأة في تكوين أي مجتمع و الحفاظ على قيمه و توريثها عبر الأجيال أمراً معترفًا بع عالميا فإنّ هذا الدور يحتلّ أرقى في الدول العربية الإسلامية نظرا لاعتراف القرآن الكريم بذلك.



صافية بلحبي، سقطت شهيدة في الكفاح، يوم 7 نوفمبر 1959



النساء في مظاهرة من أجل استقلال الجزائر وقد شاركن بكثرة

كانت المرأة في المغرب العربي و في الجزائر خاصة، في طليعة الحرب ضد الغزاة و مثال تلك البطلات العظيمات " الكاهنة " و " فاطمة نسومر ". فقد سّجلت أمهاتنا و أخواتنا صفحات من ذهب في ملحمة المقاومة ضد المستعمر قبل أول نوفمبر و أثناء حرب التحرير المجيدة.

كانت المرأة مستوى المهام المسندة إليها، فمن مشاركاتها المباشرة في الأعمال الفدائية إلى تواجدها الحاسم و الفعال في الثورة على مستوى كل التراب الوطني في المدن كما في الجبال، من الأوراس إلى منطقة القبائل و إلى غاية



فوج من الممرضات في الميدان

الجنوب الجزائري الشاسع.

و خلال الفترة الممتدة بين 1956 و 1962، كانت المهام المسندة للمرأة متنوعة و خطيرة، حيث كانت تقل الأسلحة و القنابل من المعسكرات إلى قلب المدينة ثم تسترجعها بعد نهاية العمليات العسكرية، كما كانت تنقل الرسائل و المعلومات و تجمع أموال الاشتراكات. و بالإضافة إلى العمليات الفدائية اضطرت النساء أحيانًا إلى استخدامهنّ كطُعم لاصطياد جنود العدو و عملائه وجلبهم إلى خارج المدينة فتنصبن بذلك كمائن للعدو لمساعدة جيش التحرير الوطني.

و لما كانت الشرطة الفرنسية تكتشف أمرهنّ، كنّ يلجأن للجبال أين كانت تحديات أخرى تنتظرهم، فكنّ ممرضات و كاتبات و طبّاخات و غاسلات ثياب الجنود و غيرها من الأعمال الخطيرة و المجازفة كتخبئة الرسائل تحت الحناء و التستر على مخابئ الجنود أو ما يسمى " البيخيرو ".



سليمة طالب رفقة العقيد عباس 1931-1962

و هكذا التحقت الكثيرات منهنّ بالمقاومة، عازبات ة تلميذات في الثانويات و أمهات أحيانًا، لينتهي الأمر ببعضهن في السجون الفرنسية فتُغتال بعضهن من قبل الشرطة الفرنسية.



هواري بومدين رفقة والدته



جالسة على اليسار دالي يوسف رابية،
واقفة على اليمين : بن منصور مفيدة
الصفصاف، تلمسان، جوان 1957

لقد كان من الصعب جدا على تلك النسوة من المدينة تحمّل مشاق العيش في الجبال الوعرة و تحمّل مطاردات العدو وسط الجوع و البرد، فكم من مرة اضطررن للفرار عبر جبال تلمسان الوعرة على أن يبقين في الظلام الدامس وهنّ يحتمين في مخابئ لا تطاق رائحتها...



الام بندي جلول، والدة الشهيد عبد السلام

مقتطفات من " نساء غي حرب التحرير

" لـ: عمران مين أديك

1. من الفداء إلى المقاومة المسلحة

خلال المقاومة المسلحة التحقت حوالي 2000 جزائرية وهنّ في عز شبابهنّ. جلّهن لم يتجاوز بعدُ سن الثلاثين، أي بنسبة (88,8%) من مجموعهنّ، أما النصف منهن لم يكن يتجاوز سن العشرين أي بنسبة (52,1%).

و تحديا لمحظورات المجتمع التقليدي، عاشت هؤلاء المجاهدات وحدهنّ وسط جماعات من إخوانهن الرجال المجاهدين. فعانين الرد، و الجوع، و السير الشاق، و الاشتباكات القاتلة، و تولّين مهام عديدة كتوعية النساء، و تقديم الدواء، و النصائح المتعلقة بالنظافة، و كذا الطبخ. كما التحق البعض منهن بمصالح الاستعلامات، و إضافة إلى ذلك لعبت الممرضات دورا هامّا، حيث سيّرن قاعات العلاج و نضّمن حياة الجرحى و مارسن مهمّة الطبيب و حتى الجرّاح في ظروف استثنائية تنعدم فيها الأدوية، كما قمن أحيانا بنقل الجرحى أثناء العمليات العسكرية.

و لم تكن للنساء أسلحة، عدا البعض منهن ممن كنّ يملكن مسدسا للدفاع عن النفس، و هذا راجع إلى نقص الأسلحة و ليس إلى قانون خاص بالنساء.

و قد سبّب تواجدهنّ وسط الرجال في بداية الأمر نوعا من الإحراج إلاّ أنّهن نجحن في فرض أنفسهن بشجاعتهن و إصرارهنّ على المواجهة، ليتقبلنّ المجاهدون في الأخير و يعاملنهن باحترام، حتّى أن أغلبيتهن تزوجن من مجاهدين، مما خلق نوعا من المساواة بين الجنسين.

و أثناء المعارك، ألقي القبض على نسبة 10% منهن و غالبا ما كان ذلك بعد إصابتهنّ بجروح، و استشهد حوالي 20% منهنّ.

و هذه أسماء بعض المجاهدات اللاّتي شاركن الرجال من المجاهدين في ثورة التحرير، نذكر منهنّ:

خيرة بوصافي:

وُلدت خيرة بوصافي سنة 1937م، وسط عائلة متواضعة، اضطّرت للعمل في سن مبكرة لتلبية احتياجاتها و احتياجات عائلتها. وألحقت بالنضال سنة 1956 و سرعان ما جُندت و انخرطت في صفوف ثورة التحرير. و لكي يتيسّر لها التحرك بحريّة قررت السكن لوحدها وجعلت من شقتها ملجأ للمجاهدين، و لما تفطّنت لها الشرطة الفرنسية التحقت بالمقاومة المسلحة بالولاية الرابعة في شهر فبراير من سنة 1957، و في نهاية السنة ذاتها كانت ضمن موكب الممرضات اللّواتي التحقن بتونس.

و عملت خيرة بوصافي ممرضة في المستشفى و عاشت ظروفا قاسية و هي أمٌّ لأربعة أطفال، و بعد الاستقلال انسحبت كليا من الساحة السياسة و النقابية.

وإثر حوار تمّ مع المجاهدة، روت لنا أسباب انخراطها في صفوف المجاهدين قائلة:

"أتسأل الآن، كيف قبلت الالتحاق بصفوف النضال و أنا طفلة صغيرة، كنت أسمع الكثير عن الثورة و كنت أتحمّس الكثير فاندفعت للالتحاق بجيش التحرير، فقد كنت رفقة بعض من زميلاتي- و نحن في ريعان شبابنا_تدفعنا الحماسة بل الشعور الغزير للدفاع عن وطننا بينما أكبرنا سنّا_ و قد عانوا ويلات الاستعمار_ كانوا يفكّرون الالتحاق بالثورة قبل اتخاذ أي قرار.

كنت فتاة فطنة و بديهية، أذكر أنه في أحد الأيام تكلمت مع أحد الإخوة عن الثورة، فأراد أن يختبرني فسلّمني وثيقة لأوُصلها إلى أحدهم في بيته، و ظل يراقبني، و في اليوم الموالي التقيت به في موعد ثانٍ حتّى وجدت نفسي منخرطة في صفوف المجاهدين.

كنت أعمل و أسكن لوحدي، وجعلت من شقتي ذات الغرفتين ملجأ للمجاهدين يقصدون بيتي فأوفر لهم الطعام و الشراب، أما الملاحقين منهم من طرف الشرطة الفرنسية، فيضلّون مختبئين في بيتي، و أتذكر أن اثنين منهم مكثوا عندي شهرا كاملا قبل أن يتم الاتصال بهم ليلتحقوا بالجبال. أويت أيضا الجرحى و كان الأطباء يعالجونهم في منزلي أيضا...

و ذات يوم ساعدني فدائي كنت في اتصال معه على تنظيم موعد مع فدائي آخر سلّما لي مسدسين حملتهما معي و ذهبت صيتهما فكان أحدهما يقدّمني و الآخر يراقب من الخلف، و لما وصلنا قرب قاعة سينما " Cinéma El Djama " في منعطف الروفيغو، قال لي الأخ الذي يتقدّمني " أختي هل الأمانة معك ؟" و كانت هذه هي كلمة السر، فاقتربت منه و مثلت دور العاشقة و التصقت به لأتمكن من وضع المسدس في جيبه، فقال لي: "انتظريني في المنعطف التالي!"، حيث توجد مقهى يؤمّها المناضلون، فأطلق النّار وهرب و ألقى المسدسين بالقرب مني، التقطتهما و دخلت إحدى العمارات، ثم أخفيت السّلاح في سترتي و انصرفت، يومها شعرت بخوف كبير، فكان الجميع بالمناسبة عُرضة للتفتيش حتى النّساء منّا.

كنت شابة سمراء لا أرتدي خمارا فكان المعمّرون يضنونني أوربية، و المعجبون بي يلقبونني " بالإسبانية الصغيرة " فكنت ألعب دور المسلمة غير الملتزمة، دور المرأة المتحررة التي تستقبل الرجال في بيتها. و في أحد الأيام تعرضت للخيانة من أحدهم و أضنه صاحب الشقة، لأن الشرطة التي اقتحمت بيتي كانت شرطة الأخلاق، و يومها كان في شقتي مصطفى (الذي توفي بعد الاستقلال) و عبد القادر، و رجل و رجل آخر نسيت اسمه، فادّعيت أنهم أقاربي، أخذتني الشرطة صحبة مصطفى إلى القسم المركزي، أما الأخوان الآخران فقد أطلق سراحهما كانا يحملان وثائق مزورة. و في قسم الشرطة أُطلق سراح مصطفى بعد تدخّل رئيس عمله الفرنسي، أما أنا فتعرضت إلى صفعات و ركلات (بحيث لم تكن تعذيبا وحشيا). و بعد ثمانية أسام أُطلق صراحي، لكنني لم أعد إلى الشقة لأنّ أحد الإخوان حذّرني من أنني قد أكون مراقبة فقصدت بين أمي في حيّ "Climat de France" ببوزريعة، و ما دُمتُ أخشى على حياة والدتي خبّأتني عند إحدى جاراتها.

بعدها التحقت بالإخوان في الجبال بمنطقة "الأربعاء"، أين التقيت بعلي خوجة و مجاهدين آخرين. طلب من هؤلاء أن أصبغ شعري باللون الأشقر و أعود للعمل بالمدينة، فعُدت للنضال بالمدينة دون أن أقصد منزلي لكنني بقيت متخفية، وقمت بنشاطات بسيطة كربط الاتصال... لكنني لم أتحمل الوضع، و سرعان ما عاودت الالتحاق بالجبال هذه المرة في المنطقة الثانية التي كان يقودها الضابط عبد الله، رحمه الله.

كنا ننام في القرى و المداشر، و أثناء الاشتباكات نختبئ بالأحراش في الجبال، لم أكن مسلحة كغالبية النساء نظرا لعدم توفّر العتاد و نقص فادح في الأسلحة.

و في أحد الأيام وقع اشتباك، وكنت يومها مرهقة جدا ففرت صحبة أحد الإخوة و هو "عبد القادر"، كنت أرتدي سروالا من الجينز و أحذية رياضية و قميصا، و كنت ألفّ شعري الطويل تحت القبعة، و لما قفزت و تدلّى شعري على كتفي سمعت العسكر الفرنسي المحتل يقول: "آه... هناك فلاّقة صغيرة!" لم نأمل أبدا يومها في العيش فاختبأنا إلى غاية الثامنة مساءاً والتحقنا بالإخوة بعد توقف الاشتباكات ثم دعاني "سي عبد القادر" لتناول شيء من الطعام قائلا لي: "ظننتك ميتة!".

استشهد الكثير من الإخوة من ووجدنا أنفسنا نقلّ ثمانية جرحى، تركناهم في احد المخابئ و بحوزتهم بعض الأسلحة، و قد أوصى بعضنا البعض أن لا نترك جريحا دون أسلحة حتى لا يموت دون مقاومة. لا أدري من وشي بهم، أظنه أحد سكان الدشرة، ألقت القوات الفرنسية القنابل في المخبئ فاستشهدوا جميعهم حرقا بداخله.

و لما كنا نلتقي بعد الاشتباكات لم نكن نروي ما حدث لنا و لا نذكر حتى عدد الشهداء و لا نفكر في الموتى من الإخوة حفاظا على معنوياتنا. المهم أن المقاومين استشهدوا في سبيل استقلال الوطن و انتهى الأمر.

أما النساء في المداشر فقد كنّ يقمن بأعمال شاقة و متعبة لمساعدتنا، فكنّا تطحنّ القمح و تحضرن الكسكس و تقمن بعجن الخبز، و عندما نعود مرهقين في المساء نجد الطعام جاهزا، أما الثياب فكان كلّ جندي يتولى غسل ثيابه بنفسه و كذا المرأة الجندية أيضا.

لا ننسى معانات هؤلاء النسوة في مواجهة وحشية القوات الفرنسية بعد فرارنا، فتتعرضن للضرب و يقوم المستعمر حتى بتحطيم أبواب منازلهنّ و مع هذا فقد كنّ تتفاءلن خيراً...

و في نهاية سنة 1957 اجتمعنا بالإخوان الذين طلبوا منا الرحيل إلى تونس بسبب تأزّم الوضع و تعدّد الاشتباكات و أصبحت حياتنا في خطر... و أمام طلب الإخوة الملحّ، أجهشنا بالبكاء و أصررنا على الكفاح إلى جانبهم غير أنهم رفضوا

ذلك. رحلنا إلى تونس و عند وصولي هناك دخلت المستشفى لمدة شهرين في مصلحة فرانس فانون بتونس العاصمة.

2. نساء الريف سند المقاومة المسلحة في الجبال

كان عدد نساء الريف كبيرا و كانت مهامهنّ الأساسية إيواء، المجاهدين و إطعام العشرات منهم، فكنّ يمشين لمسافات طويلة كي يشترين مختلف المستلزمات لإحضار الوجبات للمجاهدين، هذه أعمال مرهقة تكررها النسوة كل يوم. لقد عانين المخاطر التي كان يعاني منها المجاهدون فلقد كنّ يتعرضن للاعتقال و التعذيب أحيانا، و مع ذلك يلتزمن الصمت و لا يذكرن اسم أحدٍ من المجاهدين. كنّ نساءًا راشدات، يتراوح سنّهن بين الثلاثين و الخمسين، و سواءً كنّ متزوجات أو أمهات، عانين الكثير من ويلات الحرب فكنّ يناضلن بأنفسهن من جهة، و يفقدون أزواجهن و أولادهن في الحرب من جهة أخرى.

تتوفّى المجاهدات الواحدة تلوى الأخرى وسط صمت رهيب بل يذهبن في طي النسيان بعد أن عشن حياة مزرية.

فقد توفيت حليمة غمري سنة 1982، و سعدية بن عبد الله سنة 1989، و عائشة قمّاس سنة 1990، و لم تبقى إلاّ العكري لونيس على قيد الحياة.

من هي عائشة قمّاس؟

ولدت عائشة قمّاس سنة 1912 في دشرة من المداشر الصغيرة في بلدية أولاد فضّة، كانت أرملة استشهد ولداها الاثنان أثناء المقاومة، و كانت تقوم بمهمة الاتصال فيما بين المجاهدين و تضمن إيواءهم منذ سنة 1955.

و بعد الاستقلال وجدت عائشة نفسها وحيدة تسكن في قرية فلاحية، و من سنة 1973 و إلى غاية سنة 1977، ناضلت في الاتحاد الوطني للفلاّحين الجزائريين، إلى أن وافقتها المنية سنة 1990. و قد حاورناها في آخر أيام حياتها فصرّحت لنا بما يلي:

"كنا أحيانا نطبخ للمجاهدين طوال الليل، كما كنا نقوم بحراستهم و هم نائمون في "الكازمات" التي نتولّى تغطيتها بالطين و الخشب ثم ننصرف و نجرّ وراءنا حزمة من الخشب حتى نمحي آثار التغطية، و عند طلوع الفجر نراقب

المكان ما إن كان خاليا من العساكر لنحضر للمجاهدين فطور الصباح و نقوم بفتح "الكازمات".

كنت أنقل رسائل المجاهدين لمسافات طويلة تبلغ أحيانا 20 كلم أو حتى 30 كلم، أمشي طوال المسافة على قدماي و أنا أحمل مستلزماتهم على رأسي.

و في أحد الأيام أخبر أحدهم العساكر الفرنسية بأنني أستقبل ممرضة شقراء فسارعوا لاستجوابي، أنكرت ما نُسب إليّ مصّرة على أنني لا أعرفها و لم أرها قطُّ في حياتي... لم يقنعهم الرّد فقاموا بربطي إلى شجرة الكاليتوس و أبرحوني ضربا يمينا و شمالا حتّى كسروا ذراعي و فقدت أسناني. أما خيرة الممرضة التي استقبلها فقد كانت مخبأة في "كازمة حليمة، هذه المرأة التي ألقي عليها القبض أيضا و تعرضت للضرب المبرح، و كلانا لم يصرّح بأي خبر، إلى أن غادر جيش الاحتلال دون أن يعثر على أيّ أثر.

استشهد ولداي الاثنان في الجبال، الأول سنة 1957 و الثاني سنة 1958، و بعد الاستقلال، ذهبت للبحث عن جثثهما في جبل كريشة بالونشريس. وجّهنا رجل إلى أحد الأماكن البعيدة فأجبرنا على امتطاء البغال يسبب الأماكن الوعرة، قمنا بعملية الحفر و أخبرنا بوجود ثلاثة شهداء تمّ دفنهم هناك. و عندما أخرجنا الجثث الثلاثة تعرّفت على جثة ابني الذي كان بحوزته محفظة تحتوي على مشط و مرآة وابرة و خيط و نقود وعشرة حبات خراطيش، فأخذ كل واحد من مرافقي خرطوشة واحدة للذكرى، جمعت كل العظام و وضعتها في كيس، لم نكن نعثر على الشيء الكثير، فالمجاهدون أحيانا لم تكن تُدفن رفاتهم بالطريقة العادية و بإحكام مما سهل وصول الذئاب إليهم و نهش جثثهم. أما الولد الثاني فلم أعثر عليه إلى اليوم !

حرب العصابات في المُدن

لعبت المجاهدات أدوارا جوهرية في المقاومة في المدن لسهولة احتكاكهن و سهولة تنقلهن مقارنة بالرجال، فتولّين ربط الاتصالات و إيواء المجاهدين و حتى المشاركة في العمليات العسكرية.

و أثناء معركة الجزائر من جانفي إلى سبتمبر 1957، كان تعداد سكان المدينة يقارب 300 000 جزائري يطوّقهم 30 000 عنصراً من جنود و درك و شرطة، أي ما يعدل عسكري واحد لكل مدنيين راشدين من الذكور. أما جبهة

التحرير الوطني التي كان يبلغ تعداد رجالها المسلّحين 500 رجل لم تكن قادرة على التحرك، فكانت النساء تسدُّ ذلك الفراغ، و بلغت عدد عمليات وضع القنابل من طرف النساء وحدهنّ أو بمرافقة أحد المجاهدين ثلثي العمليات، و أكثر من ذلك فإن بعضهنّ مثل المجاهدة " زهرة ضريف"، قمن بقيادة الكفاح المسلّح في المدينة. لكنه تم القبض على نصف عدد المناظلات و حُكم عليهن بأشدّ العقوبات في السجن، كما تم تعذيب الكثير منهنّ...

المجاهدة مليكة إغيل أحريز

تنتمي المجاهدة مليكة ايغيل أحريز إلى عائلة التحق كل أفرادها بالكفاح المسلّح بمجرد بلوغهم سن الرشد، فكانت ديارهم مخبأً للمجاهدين. أما مليكة فكان عمرها لا يتجاوز 18 سنة، و كانت تملك سيارة مما سمح لها القيام بعمليات النقل وربط الاتصال، إلى أن ألقي عليها القبض في أوت 1957 حيث سلّط عليها أشدّ التعذيب و سُجنت في "سجن بربروس" أين سبقها أبوها والتحقت بها أمّها فيما بعد ثم خالتها و أختها "لويزة".

و بعد الاستقلال، استأنفت مليكة دراستها لتصبح مستشارة قانونية في شركة وطنية، و هي تناضل في جبهة التحرير الوطني التي عيّنتها على رأس فدرالية الجبهة.

كانت مليكة تروي لنا أيام نضالها ضدّ المحتل الفرنسي قائلة:

"شجعني الوسط العائلي و خاصة والدي على الالتحاق بالنضال. لقد كان والدي وخالي غالبا يتنافسان في أمور السياسة في بيتنا حتى ساعة متأخرة من الليل و ذات يوم من أيام شهر نوفمبر سنة 1955، اقتحمت الشرطة منزلنا في الساعة الواحدة صباحًا. أيقظونا و أجبرونا على فتح الباب، استيقظنا وكنا مذعورين اقتحموا المنزل وراحوا يقومون بتفتيشه و خاصة مكتب أبي بحثا على بحثا على وثائق سريّة، ليغادروا في الساعة الخامسة و النصف صباحا بعد إخفاقهم لأنّهم لم يعثروا على شيء. و حتى أبي لم يتم استدعاؤه إلى مكاتبهم و لم نتمكن نحن يومها من النوم، جمعنا أبي (عدا الأطفال)، و صرّح لنا لأوّل مرّة بأنه يشارك في الأعمال السياسية و الكفاح من أجل تحرير الجزائر، فعلينا حينئذ أن نتهيّأ لرؤية الدموع و الدماء و السلاح، و نقدّم دعمنا للمقاومة، لكنني أطلب منكم أن تكونوا أبطالا و يكون والدكم قدوتكم". ثم أحضر المصحف و طلب منا

أن يضع كل واحد يده عليه و يقسم بأن يدعم الكفاح من أجل تحرير وطننا. و منذ تلك اللحظة أحسسنا بوعي و شعرنا بحقيقة نضال والدنا، و بعدها أصبحنا نستقبل الإخوان المجاهدين في المنزل و كانوا يقضون الليلة أحيانا.

بعدها سُنحت لنا الفرصة، أنا و أختي لويزة، من تربص في التمريض، لدى أناس يسكون في ناحية "خرايسية" Crescia بضواحي الجزائر العاصمة، أين كان هناك طبيب و ممرض يعلماننا وضع الضمادات والحقن و تقديم الإسعافات الأولية. أما عن الجانب السياسي فكان والدي يشرح لنا مهمّة " جبهة التحرير الوطني " و دورها في النضال.

تكفل والدي بالتحضيرات لإضراب الثمانية أيام، فكان يقوم بحملة تحسيسية يشرح فيها للمواطنين ضرورة الإضراب، و ما دام يملك مخبزة فقد عمل على توزيع الفرينة و الدقيق على العائلات المضربة كي تتحمل مشاق الإضراب.

و ذات يوم حضر إليه أعوان المخابرات الفرنسية (DST) في العاشرة صباحا لإلقاء القبض عليه، و في الليلة التي سبقت مداهمة المخابرات الفرنسية بيتنا عقد اجتماع سريّ بين إطارات الثورة فألقي القبض على أحد العناصر و عذب طوال الليل، و في صباح اليوم الموالي اعترف بحضوره الاجتماع لدى " عمي سعيد مسطاش " الخباز. سألتني المخابرات الفرنسية بدوري عن هوية والدي.

و لما عاد والدي إلى البيت، تعوّد أن يركنّ سيارته في المرأب، أشرت إليه بوجود المخابرات في بيتنا كي يتخلّص مماّ يحمله في سلة الخبز، و نظرا للموقف. لم أكن أتذكر إن كان يحمل سلاحا أو شيئاً من المال...، إلاّ أنه أمنني على محفظته قائلا: "واصلي العمل يا ابنتي، فأنا لا أعلم إن كنت سأعود !"، و بالفعل لم يعد أبي البتّة فقد اعتقلوه بعد تعذيب وحشي في إحدى المنازل تسمّى بـ " Villa des Oiseaux ".

واصلتُ أنا و أختي لويزة مهنة الوالد أي بيع الخبز و تسيير المخبزة، و بعد حوالي ثلاثة أشهر عدنا تدريجيا للعمل الثوري، بعدما هدأت الأوضاع و لاحظنا أننا لم نعد مراقبين، فكانت أمي تستقبل الإخوان المجاهدين بمساعدة عمي محمد-رحمه الله- الذي كان بدوره يعمل على ربط الاتصالات بالمجاهدين في الجبال.

و في أحد أيام الكفاح جاء " رشيد فراوي " ليخبرنا بأن الإخوة المجاهدين في القصبة وُضعوا تحت الحراسة المشدّدة، و أنهم في حاجة إلى مخبئ خارج القصبة، فأخبرتهم أمي بصعوبة الأمر في حال لجوئهم إلى المخبزة لأن إخوان الساحل كانوا يترددون عليها، لكنها عرضت عليهم منزلنا "في بوزريعة"، و الذي كانت أختي تسكن فيه إلاّ أنها تركته مهجورا و عادت لتسكن معنا بعدما التحق زوجها بالمجاهدين في الجبال. كما أن هذا المنزل كان مراقبا عن كثب نظرا لقربه من ثكنة الدرك التي يحايذها مركز الاتصالات العسكرية.

رافقت السائق إلى القصبة بشارع ڤمبيطا (Gambetta)، لأخذ سعيد باكل رحمه الله و رشيد فراوي، عون الاتصال و هو شاب لا يتجاوز 16 عاما، و كان يملك دراجة نارية "scooter"، رافقتهما إلى بيتنا كي يختبئا هناك و كان سعيد باكل يلح عليّ أن أكُف عن العمل بالساحل و أعمل في الجزائر العاصمة بما أنني كنت أوزع الخبر و أتنقل بسهولة.

و في هذه المرحلة وضع الإخوان تحت تصرفي سيارة أمريكية كبيرة من نوع (De Soto)، و بدأت سياقتها بوثائق مزورة باسم "مارتين". كان شعري جميلا الشيء الذي ساعدني على اجتياز حواجز المراقبة بابتسامات عريضة لدخول القصبة، فكان عناصر الجيش يلاحظونني عند نزولي من السيارة بزي أوروبي ثم أدخل العمارة و أغير ملابسي فأرتدي الحايك و أضع النقاب، ثم أخرج من العمارة متوجهة نحو القصبة، أقوم بالمهمّة التي كلّفت بها: تسليم وثائق أو أسلحة ثم أعيد الكرّة و أنا في طريق العودة فأنزع الحايك داخل العمارة و أضع أحمر الشفاه و النظارات ثم أركب سيارتي الجميلة.

لاحظ سعيد باكل أنّ ما أقوم به مهم جدا كم لاحظ قدرتي على التحرك بسهولة، فسألني ذات يوم إن كنت قادرة على القيام بمهمّة خطيرة، تتمثل في إخراج المسؤول " حسن قندريش "، الذي كانت الشرطة الفرنسية قد نشرت مواصفاته كرجل أصلع و ذو مارة. كان " حسين قندريش " مختبئا منذ ثلاثة أسابيع في قبو لدى جماعة من المناضلين بحسين داي، و عليّ أن أنقله من مخبئه إلى بيتنا.

قمت بتغيير الوجهة لأتفادى وسط المدينة. مررت "بالقبة"، و في طريق العودة، و عند وصولي إلى "بن عكنون" كان هناك حاجز عسكري لرماة البحر،

أمرني " حسن " باجتيازه دون توقف! فعلت ما أمرني به و تجاوزت سيارتين عند الحاجز إلاّ أن العسكر لم يتردّد في إطلاق النار علينا.

و من حسن الحظ أننا لم نُصب، فقد كانت السيارة الأمريكية الضخمة تسير كلمح البصر، و تفاجئوا لرؤية امرأة في المقود، لكنّنا نجونا بأعجوبة.

يومها أحرقت السيارة الأمريكية التي كنت أقودها حتى قال لي سعيد باكل: "لقد ذهبت سيارتك الفخمة وانتهت الحياة الجميلة!"، و عُدت منذ ذلك اليوم و للأسف إلى تسيير المخبزة من جديد و صرت أستعمل سيارتي الصغيرة المعبأة بالخبز متظاهرة بتوزيعه...

ظلّ حسن قندريش و سعيد باكل مختبئين في بيتنا، و تولى الشاب "رشيد" مهمة الاتصال، ثمّ طلب منّي سعيد باكل إحضار "غنية" التي بقيت في البيت إلى أن تمّ إيقافها. و خلال مدّة تواجدها في البيت حوالي (90يوما) كانت تخرج في مهامّ ثم تعود مجددا. أما زهيّة فلسوء حظها، جئتُ بها إلى البيت يومين قبل إيقافها، ثم ألقي عليهم القبض يوم 6 أوت 1957 في الساعة الرابعة صباحاً في الطريق نحو مدرسة " Sarouy"، حيث يتمّ تعذيب المجاهدين.

في ذلك اليوم المشؤوم كان من المفروض أن ألتحق بيتنا مساءاً، و لما وصلت تفاجئت لرؤية الباب مفتوحا فقلت في نفسي: "لما هذه اللامبالاة؟ اتفقنا على أن لا يفتح الباب إلاّ بعد إشارة خاصة اتفقنا عليها مسبقا"، و شعرت بالغضب بسبب اللامبالاتهم، و عندما دفعت الباب استُقبلت برشاش في البطن و رأيت المظلين في كل مكان. لقد كان الوضع مسيئا و مفرعا للغاية!

في ذلك اليوم لم أكن أحمل سلاحا و لا وثائق، قلت لعناصر الجيش إنني ابنة مالك الدار و قد أجّرناها لهؤلاء و إنني لا أفهم ما حدث، و تظاهرت بأنني لا أفهم العربية و لا أتكلم إلاّ اللغة الفرنسية. تمّ احتجازي و انتظرت إلى غية الثانية صباحا و حينها تلقّوا مكالمة هاتفية تأمرهم بإرسالي إلى المدرسة.

طلبتُ منهم أن يسمحوا لي بالمرور إلى المنزل لتناول سترةٍ، و في الحقيقة كنت أريج تحذير أختي، والتي فهمت الأمر بمجرد رؤيتي.

بعدها أخذوني إلى مدرسة "Sarouy"، و حين وصولي استقبلني "بابوش" بمعية المظلمين، نزعوا عنّي ثيابي فصرت أصرخ بأعلى صوتي، و كنت أتذكر

سبورة سوداء كُتبت عليها أسماء "سعيد باكل"، "حسن قندوريش"، "مليكة" المدعوة "أميرة"...الخ، و بمجرد دخولي القاعة شطبوا اسمي.

كنت مريضة مثلما كانت زهية أما مليكة فكانت تحيطني بعناية خاصّة لأنني فقدت وعيي و بعدما استرجعت ذاكرتي سألتهما عمّا إن تمّ إخراجي من القاعة لأنني كنت أخشى الاغتصاب لكنهما أكدتا لي بأنني لم أتحرّك من مكاني.

و لما زُجّ بي في قاعة التعذيب و قبل أن أفقد وعيي، أتذكر بأن العساكر رموني بجانب "بن شيخ" –رحمه الله- الذي كان يعمل صائغا بالقصبة، كان قد تمّ تعذيبه قبلي، و سمعته يُحتضر... فكان يصلّي و هو ينطق بالشهادة، حاولت مواساته و صلّيت معه، و لما لاحظته في الرمق الأخير صرخت بأعلى صوتي كي يأتوا لإنقاذه. و هنا تقدّم حارس نحوه وركله في جنبه قائلا: "لقد مات هذا المخلوق!"، بعدها أخبر الضابط فأمر الجنود بإخراج الجثة، و سلّمني أحدهم سترة "ين شيخ" لأستعملها كوسادة.

صوريا بن ديمراد

"دور المرأة الجزائرية في ثورة التحرير 1954-1962، وزارة المجاهدين"

التحقت صوريا بن ديمراد بصفوف جيش التحرير الوطني و عمرها لا يتجاوز سنّ السادس عشرة، كانت ممرضة بمدينة بلعباس، و كانت تخرج من حين لآخر في مهمة للجبال. و قد جَندتها خيرة لوحة الملقبة بــ" عرْبية" مع فتيات أخريات من نفس المدينة بأمر من طيّب العربي و مجاجي محمد، الملقب ببكاي.

أما "خيرة لوحة" فقد فتحت مدرسة للخياطة تمارس العمل الثوري بواسطتها، ممّا سمح لنساء أخريات – وعددهنّ كثير- بالالتحاق بالثورة، أذكر منهنّ" صليحة عفان، بن زيد خيرة، بن شهيدة حفيظة، عبد الدايم زهرة المعروفة بعائشة، بن سعيد خيرة الملقبة بفاطمة، بن هيبة فاطمة، بن سكران وفية...

و في سنة 1956 تم تجنيد تلك الفتيات بالإضافة إلى هؤلاء التي ذكرت أسماءهن سابقا بمركز رنيرا (Renira)، و جلّهن جنّدتهنّ خيرة لوحة "عرْبية"[1] التي ألقي عليها القبض و تم تعذيبها[2].

و قد كتبت صوريا بن ديمراد في كراسها المدرسي (و الذي سلّمه أحد المجاهدين بع الاستقلال):

« Algérie, avec mon sang,j'écrits ton nom »

" بدمي أكتب اسمك يا جزائر "

فقد كُلفت صوريا بن ديمراد _ الملقبة باسمها الثوري "نورية" _ لمدة أربع سنوات بمهام صعبة كنقل السلاح من المدينة إلى الجبال و كذا عمليات الاتصال... و قد ألقي عليها القبض مرتين و تعرضت للتعذيب، لكنها تُعيد الكرّة و تعود إلى الكفاح في كل مرة.

و في 05 جويلية 1960، و عمرها عشرين سنة، و كانت نرافق "بن فريو عبد القادر المدعو "دادي" في شارع "مارسل سردان" للقيام بمهمّة إخراج ذخيرة السلاح و نقلها إلى الجبال. لكن شاءت الأقدار فشل مسعاهما و طوقتهما الدبابات في حدود الساعة العاشرة ليلا، ممّا سمح للفدائيين بالمقاومة بواسطة القنابل اليدوية و الرشاشات لساعات طويلة حتى طلوع الفجر، إلاّ أن جنود العدو كانوا يزدادون عداداً حتّى سقط في الأخير الشهيدان في ساحة الشرف في منزل صادور عمار و هو عضو ناشط في المنطقة بالمدينة، و ذلك سنتان قبل استقلال الجزائر سنة 1962.

مناضلات من أصول أوروبية

كان عدد المناضلات من الأصول الأوروبية قليلاً، لكن التزامهنّ كان مثاليا لأنهنّ قُمن بأعمال ل تتماشى و محيطهنّ الاجتماعي و الثقافي.

---

1. المجاهدة خيرة لوحة، توفيت سنة 2006، إثر عودتها من البقاع المقدّسة.
2. شهادة أدلت بها السيدة مسعودة يحياوي، على هامش ملتقى "المجاهدات" لوزارة المجاهدين، الأبيار، 2005.

لقد جئن من أصول مختلفة، و حياتهنّ اليومية تظهر الجوانب المتعدّدة لمجتمع استعماري جدّ معقد نظرا لتركيبته المتكوّنة من:

- يهوديات جزائريات تُقارب تقاليدهنّ تقاليد المسلمات الجزائريات اللاتي يتحدّين لغتهنّ.
- عائلات "الأقدام السود"، من معمرين، مثل Elytte Loup و موظفين، مثل Annie Steiner و حرفيين صغار أو عمّال بسطاء.
- اسبان فارّين من الفقر و الأوضاع المزرية مثل Rose Serrano أو الجمهوريين تمّ نفيهم سياسيا.
- نازحين جاؤوا من نواحي المدن و قدموا إليها متأخرّين مثل Jacqueline Guerroudj.

و لم تمارس بعض هؤلاء المناضلات الأوربيات النضال إلاّ بعد اندلاع الثورة، و أغلبهنّ مكونات سياسياً و لهنّ تاريخ نضالي ساعدهنّ في ذلك خاصّة اللّواتي كنّ يمارسن في صفوف الحزب الشيوعي أو الحزب الاشتراكي أو حتى في الحركات المسيحية و النقابية. و مادامت أسماؤهنّ مسجّلة في أرشيف استعلامات الشرطة الفرنسية فقد كنّ أول النساء اللواتي تم توقيفهنّ. و نذكر هنا أول امرأة تم الصحف اليومية آنذاك و هي "جاكلين شكروم" Jacqueline Cherkroum العضو في الحزب الشيوعي الجزائري. أما أول سجينة سياسية زجّ بها في سجن جزائر العاصمة المشهور بـ "بربروس" فهي "ران رافيني" Reine Raffini و التي تم القبض عليها و أوقفت في مارس 1956، و هي التي كانت زوجة أحد قدماء الألوية الدولية ممّن حكم عليهم بالإعدام سابقا تحت حكم "فيشي" Fichy سبق له أن التحق بجيش التحرير الوطني بمنطقة الأوراس، حيث قتل تحت التعذيب.

و إنّ السجن هو الذي سمح للمناضلات الأوربيات و المناضلات الجزائريات بالتعارف عن كثب الشيء الذي لأثر فيهنّ بسبب هذه التجربة الفريدة!

و ما لم يكن في الحسبان هو إرغام معظم المناضلات الأوربيات بعد مشاركتهنّ في النضال على مغادرة الجزائر، و كانت أول دفعة رحلت إلى فرنسا في جوان 1965 بعد وصول العقيد هوراي بومدين إلى الحكم، ليُعتَبر ذلك، خاصة عند المناضلين من أصل اسباني، بأنه تأسيس لدكتاتورية عسكرية مثلها مثل

ديكتاتورية الجنرال فرانكو أما اليهوديات الجزائريات، فجلّهن بدأن الرحيل عن الجزائر تدريجيا.

جاكلين ڤروج Jacqueline Guerroudj

ولدت جاكلين ڤروج بفرنسا و ترعرعت عناك إلى غاية 1948، اشتغلت معلمة في "شتوان" بتلمسان، و تزوجت بجيلالي ڤرّوج، المناضل في الجنوب الشيوعي الجزائري. و في أفريل 1955 تم نفيها بمعية زوجها من وهران نحو فرنسا بسبب مواقفهما السياسية، فكان جيلالي يدخل الجزائر سريا، لكن العائلة لم تُمنح التسريح بالإقامة القانونية في الجزائر إلاّ في ديسمبر 1955.

كانت جاكلين تناضل إلى جانب زوجها الذي كان يرأس "مناضلي الحرية" و هي منظمّة عسكرية تابعة أساسا للحزب الشيوعي الجزائري وانضمّت فيما بعد إلى حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري.

ألقي القبض على جاكلين و زوجها في جانفي 1975، و حكم عليهما بالإعدام، قبل أن يستفيدا من العفو بعد حملة تحسيسية واسعة أقيمت في فرنسا لصالحهما.

عادت جاكلين للجزائر بعد الاستقلال و هي أم لخمسة أطفال، واستعادت حياتها المهنية لكنّها ضلّت منخرطة في حزب جبهة التحرير الوطني إلى غاية 1965، كما بقيت دائما مناضلة نقابية ناشطة في " فدرالية عمّال التعليم و الثقافة" FTEC بالجزائر.

و في إحدى تصريحاتها عند وصولها إلى الجزائر قالت:

"وفور وصولي إلى الجزائر ما بين سنتي 1948 و 1949، التحقت بالحزب الشيوعي الجزائري (P.C.A).

كنت معلمة في الريف، عايشت حياة أولياء التلميذ، و قد جئت إلى الجزائر صدفة، كنت شيوعية في مبادئ و مواقفي لكنني لم أكن منخرطة في الحزب الشيوعي و لم يكن لدي تكوين سياسي، فلو كان لدي وعي سياسي كاف لما قبلت العيش في بلد مُستعمر و أنا من البلد المُستعمر فهذا مخالف لمبادئي و يجعلني في موقف محرج.

و في فترة القصيرة التي عشتها وسط سكان الجزائر فهمت الأوضاع وحجم معاناة السكان، خاصة و قد عشت في الريف الذي هو وسط جزائري محض، احتككت جيدا لأنني كنت معلمة أبنائهم فكانوا يقصدونني كي أسدي لهم بعض النصائح في تربية الأبناء و حتى في العلاج الصّحي لأني أشعر _ و أنا معلمة في الريف_ بأن لي مهام عديدة و متنوعة فأُصبح الكاتبة العمومية و المربية و الممرّضة...

و في 05 أكتوبر 1951، تم تعييني في قرية "عين فزة"، و كان في المنطقة الكثير من المناضلين الشيوعيين، و على بعد بعض الكيلومترات من هذه القرية التي كنت أدرّس فيها، توجد قرية أخرى تسمى "عوشبة" و كان فيها عضوان من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. انضممنا إلى هذه الخلايا، و كنا في اتصال مع مناضلي تلمسان و سيدي بلعباس، غير أنّ المحور المركزي لنضالنا كان في القرى القريبة، فلما كنا نقصد "عوشبة" و هي القرية القريبة من المدرسة نذهب إليها مساءاً بعد دوام الدراسة، أما بقية القرى البعيدة مثل: "الشولي"، "التيرني" و "أم العلو"، فقد كنا نذهب في الصباح و نتناول الغذاء عند الأهالي الذين كانوا يقدّمون لنا الكسكس اللذيذ و القهوة، و كنا نزور النسوة و نناقشهن في شتى مسائل الحياة...

فهل كنّ يتعجّبن من النقاش معهن؟ لا أدري ذلك و لا أستطيع تأكيده لكن من جانبي كنت أشعر بالراحة و أنا أحاورهنّ. صحيح أنني كنت أجنبية بالنسبة إليهنّ باعتبار أصولي و لكنهنّ يشعرون بشيء من الثقة و الطمأنينة و هن يتحادثن إليّ، ربما لأنّ أزواجهنّ يطلبن مني نصائح في النظافة للمحافظة على صحتهن و صحة أطفالهنّ؟

و في نقاشنا كنا نطرح بعض المسائل و نقرأ عليهن مقالات الصحف ثم نعلّق عليها، و الجدير بالذكر أن أهل الريف لا يدققون في الأمور و لا يغوصون في التفاصيل و لا يثرثرون كما هو الحال لدى سكان المدن، و عندما نطرح بعض المواضيع التي تهم حياتهن اليومية يسود الصمت لبعض الوقت قبل أن يبدأن في اقتراح الحلول...

و كانت لقاءاتنا حول أوضاع البلاد و حياة الناس فيها، و أنّ سبب تدهور أساسا إلى الاستعمار، و أن الرأسمالية هي الإمبريالية... الخ كما كنّا نتكلم عن

الاستقلال. صحيح لم نكن نتكلم عن المقاومة المسلحة في وقتها و لكن الواضح أن الاستقلال كان طموح كل واحد منّا.

غير أنّ الملموس للأشياء مهم جدا، فلا يستطيع الناس أن يعيشوا على النظريات فقط، فكنا نحاول توضيح حقيقة مشاكلهم و الحلول التي تمكن في تطبيق تلك النظريات باتحادهم و بالوعي الطبقي... و بهذه الطريقة كنّا نحاول التوصّل إلى حلّ بعض مشاكلهم.

و من أهم المراكز التي كنا نعمل فيها على توعية أهالي قرية "تيرني" التي كان يسكنها البدو الرحل و الذين قدموا إلى المنطقة منذ مدة طويلة لكنهم لا يزالون يعيشون تحت الخيام، فكان سكان "عوشبة" الذين يسكنون في بيوت من الحجارة يزورون سكان "تيرني" كي يلقّنوهم طريقة بناء البيوت و يساعدونهم على ذلك. و هذا ما يسمى "بالتويزة" التي تعتبر من تقاليد المنطقة. و من الواضح أن الأهالي الذين فُرضت عليهم الحياة القاسية كان ذلك بسبب الاستعمار، و هذا الأسلوب من العيش ليس مقاومة ضدّ الاستعمار و لا هي مقاومة مباشرة، غنما هو تعبير عن تضامن أهالي المنطقة. ضف إلى ذلك أن قرية "تيرني" كانت منطقة تدريب عسكري، فكان هذا أكثر المشاكل مأساوية في القرية، ففي فترات القذف التدريبي يضطر الفلاحون إلى مغادرة ديارهم لمدة يوم أو يومين في العراء و تحت الثلوج و برودة الشتاء القاسية أو شمس الصيف الحارقة مع أطفالهم و رضّعهم و مرضاهم و النساء اللواتي وضعن حملهن مؤخرا... إنّها حقا مأساة إنسانية لا تطاق!

فكان النضال هنا يمكن في تشكيل وفود من المحتجّين من الفلاحين يقصدون تلمسان للقاء رئيس الدائرة أو وهران للقاء الوالي. فكانت السلطات تستجيب لمطالبهم خوفا من تزايد عددهم فيحتشدون.

و حتى يتسنّى للأهالي كسب قوت العيش، كان الرجال يستخرجون الفحم من الحطب ليبيعونه، و ما دامت هذه الطريقة ممنوعة قانونا يضطر البعض منهم على شراء ذمة القائد فيرخّص لهم العملية، أما البقية ممّن يتجاوزون القانون فيُزَجُ بهم السجن و لعدة أشهر، و قد تموت عائلاتهم جوعا خلال فترة السجن، و هنا أيضا كانت الوفود تنتقل إلى المدينة سعيا منهم في إطلاق صراح المسجونين. و أتذكّر لمّا حل وباء الحصبة بسكان قرية "الشولي" حصد أرواح الأطفال فكانوا يتساقطون كالذئاب، و كانت مدرسة القرية تفتقر إلى معلم حولناها إلى مركز

يستقبل الأطفال لتدفئتهم و معالجتهم، فكان الوضع مخيفا إذْ لا وجود لطبيب و لا لطرقات تنقل المرضى إلى المستشفيات... و في ظل هذه الظروف المأساوية كان التزام الحياد أمرا مرفوضا و غير إنساني.

و في أول نوفمبر 1954، لمّا اندلعت الثورة و تعرّضت الصحف في مقالاتها لهذا الحدث الأليم، اجتمع سكان المنطقة و تشاوروا فيما بينهم و أبدوا رغبتهم الملحة في الالتحاق بالكفاح دون تردد، و اعتبروا الثورة ضرورة ملحة و نتيجة لظروفهم المأساوية.

و على إثر ذلك نفيتُ أنا وزوجي في الفترة بين شهري مارس و أفريل من سنة 1955، غير أني تمكّنت من العودة إلى الجزائر في ديسمبر 1955، و قد كان زوجي يشرف على جماعة "مجاهدي الحرية"، فكنت أناضل إلى جانبه مقتنعة بضرورة الكفاح المسلح. و في هذه الفترة لم تكن جماعاتنا (أي مجاهدو الثورة) قد انضمت بعد إلى حزب جبهة التحرير الوطني، لكنّنا قمنا ببعض العمليات المسلحة مثل "L'attentat contre Fialip"، و خلال شهري جوان و جويلية 1956، تم الاتفاق بين حزب جبهة التحرير الوطني و الحزب الشيوعي على انضمام جماعة مجاهدي الحرية إلى جبهة التحرير الوطني، و إلى جانب جماعات مجاهدي العاصمة، كما انضمت أيضا جماعات باتنة و الأوراس... و قد أبقتْ جبهة التحرير الوطني على نفس هيكلة "مجاهدي الحرية" فواصلنا التنظيم لمختلف العمليات بعد موافقة الجبهة.

و هكذا واصلتُ عملي في ربط الاتصالات بين أعضاء مجاهدي الحرية و جبهة التحرير الوطني، و أتذكر المرة الأولى التي رأيت فيها "يحي بريكي" بعد موعد في عربة بساحة أحد مسؤولي الجماعة، و عند وصولي اندهش لرؤية امرأة و سألني "ماذا تفعلين هنا؟" أجبته بأني جئت لملاقاته في الموعد المحدد لنا، فردّ علي مستغربا: لم أكن أنتظر ملاقاة ففي البداية تساءل عما يمكن لامرأة عملاً كهذا! و اعتبر الأمر كارثياً و لم يتراجع عن موقفه إلاّ بعد مرور زمن طويل.

أما توفيق، المسؤول الثاني، فلم يبدي رأيه في الأمر أبداً و لم أكن أعرف ما كان يجول في خاطره، عكس بقية المناضلين الذين عبروا بشكل واضح عن عدم تقبلهم و ثقتهم فيما ستقدمه امرأة. أما الآخرون، و بعدما أبدوا تعجّبا و رفضوا مشاركتي معه، قال أحدهم: "كنا نتعامل مع رجل و لم يكن قادراً على تأدية المهمة، فما بالك بامرأة!" غير أن مجموعة المناضلين غيّروا رأيهم لما لمسوا ما

قمت به و ما قدمته من خدمات، و تحمسوا لوجودي، بل كانوا فخورين بنتائج المهام التي اضطلعت بها. و على كلٍّ فقد كنا نمرّ بمرحلة حرجة و ليس لدينا فيها خيارات غير العمل المسلح، إلاّ أنه ألقي القبض على العديد من رفاقنا.

و مع ذلك، فقد واصلت عملي بدون انقطاع أقوم بنقل المعلومات و السلاح تارة لوحدي و تارة أخرى برفقة إمّا رفقة "فروجية". لم تكن الأسلحة متوفرة لدينا فكنت أنقل بعضها داخل قفة و أضع فوقها الخضار، أما القنابل فكنت أستلمها من "طالب عبد الرحمن" الذي لم ألاقيه سوى مرة أو مرتين، كانت إحداها في المدينة عند أحد الأوروبيين هيأ قنبلتين، و لأنّ "Yvton" الفرنسي أراد تأخير موعد الانفجار كي لا يتضرّر العديد من العمال عند خروجهم من العمل، غيّرنا موعد الانفجار لدى أناس لا أعرفهم، و أتذكر جيدا أنّ "طالب قام بالعملية أمامي، كانت القنبلتان مربوطتين بمنبهات و موضوعة داخل علب للأحذية (وهذه العلب كانت كبيرة في البداية تم استبدلها بأخرى أصغر منها). و بعدها حملت العلبتين داخل كيس و ذهبت للقاء "Yvton" الذي ضرب لي موعدا في مكان يسمى " le ravin de la femme sauvage"، و لما سلمته العلب لم يتمكن "Yvton" من وضع القنبلتين داخل محفظته لأن العلب كانت كبيرة الحجم فكنت مضطرة تسليمه قنبلة واحدة فقط ورافقته و حوزتي القنبلة الثانية إلى حدود الساعة الثانية إلى حدود الساعة الثانية بعد الزوال ثمّ اتجهنا نحو شركة الكهرباء الجزائرية (EGA). أما القنبلة الثانية لم أكن أعرف ما أفعل بها، فأخذتها إلى "فروجية" كي تبطل مفعولها أو تضعها في موضع آخر آمن. لكن الأمر لم يكن بالسهولة التي توقّعها و لقد كنا نعلم توقيت انفجارها، و لسوء حضّنا فقد كان هذا التوقيت مكتوبا على ورقة ألصقت على القنبلة الأولى، و عندما ما تم القبض على "Yvton"، عُثر على الورقة أيضا و تفطّنت عناصر الشرطة إلى وجود قنبلة ثانية، و بالطبع – و كعادتهم- قاموا بتعذيب "Yvton" بوحشية كي يعترف بمكان القنبلة الثانية، و قد عرفنا بعدها سبب توقيفه، فبمجرد وصوله إلى الشركة تبعه رئيس العمال وفتح درج مكتبه فسمع صوت منبه قاده مباشرة إلى القنبلة، و رغم علم Yvton بالعملية إلاّ أنّه لم يبح بالسرّ، و بالعكس فقد قدّم معلومات خاطئة تماما للشرطة الفرنسية حيث أخبرهم أنّ امرأة شقراء قدمت له القنبلة، بينما أنا كنت سمراء البشرة، و لم يتحدث أبدا عن سيارتي التي كانت مواصفاتها واضحة، فهي مرقمة بترقيم ولاية وهران... الخ. و قد كان لـ "Yvton" موعد مع رفاقه بعد العمل على الساعة السادسة و النصف، حيث تنقله –من المفروض- مجموعة "يحي" إلى الجبل. انتظروه طويلا لكنهم انصرفوا و لم نكن نعلم يومها أنّه تم القبض عليه.

المهم تصرّف Yvton ببطولة نادرة، وربما كان هذا سبب قتله لأنّ العدو كان يُدرك تماما أنّه يعرف تفاصيل العملية لكنّه لم يبلّغ عن احد، بحيث أن إيقافه لم يكن متبوعا باعتقالات أخرى. و عن هذه المرحلة ليست لدي معلومات كافية عن ظروف إيقاف Yvton و لعله من الأجدر الاتصال بمن تمّ توقيفهم في نفس الفترة.

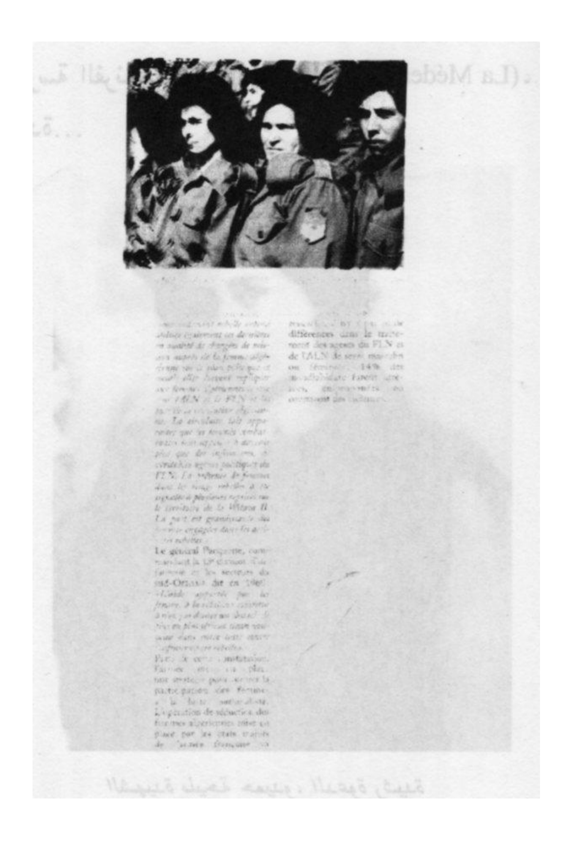
أما القنبلة الثانية التي تركتها عند فروجة، فقد تم الاتصال بيّحي و تقرّر وضعها في مكان لا أتذكره، و في طريق الإخوة المناضلين وجدوا سيارة للشرطة (CRS)، فتجرّئوا على فتح بابها ثم وضعوا القنبلة تحت الكرسي، لكن، و للأسف، لم تنفجر القنبلة و لا أعرف السبب، ربما كان هناك خلل في صنعها أم أنها لم تكن مضبوطة جيدا أو ربما عُثر عليها قبل انفجارها.. لا أتذكر ما حدث بالضّبط...

و في جانفي 1957 ألقيّ عليّ القبض، خمسة عشر يوما بعد توقيف زوجي الذي كنت أحمل له الأكل و هو في السجن قبل أن يتم توقيفي. و في تلك الفترة تعرفت على جميلة بريكي و كلّ النساء اللواتي كنّ يحملن الطعام لرجالهنّ في السجن، تعرّفت أكثر على جميلة بريكي لأنّ زوجها كان زميلا لنا، أنا و زوجي في العمل، فقبل أن أسجن و أُعايش بنفسي ما وراء الحائط كنت أشهد طوابير النساء أمام السجن ألاحظ طريقة تفتيش النّساء.

أما الكابوس الحقيقي فكان داخل سجن "بربروي" أين كنّا نسمع أصوات المعذّبين عند كل فجر، فندرك أنّ هناك عملية إعدام ستتمّ و هذا الأمر يحدث عند كل صباح، و أحيانا يتجاوز عدد المعدومين مناضلين أو ثلاثة. و ما يحدث كان عملاً فضيعا، حتى أندلا ينام لنا جفن طوال الليل... على كل حال كانت تحدث أشياء رهيبة و لا يمكن روايتها في هذا الصّدد...

مشاركة المرأة في حرب التحرير

مقتطفات من: "Guerre d'Algérie magazine رقم 5، سبتمبر - أكتوبر 2002"



لا يمكن أن نختتم هذا الفصل حول مشاركة المرأة الجزائرية في حرب التحرير دون أن نذكر إحدى أعظم وجوه الثورة الجزائرية، ألا و هي مليحة حميدو. كان لقبها الحقيقي "جانت" و لكنّها عُرفت باسم مليحة، أما اسمها الثوري فهو "رشيدة"، و هي من مواليد 16 أفريل 1942 بتلمسان، كانت البكر لعائلة تتكوّن من خمسة أطفال وهم: محمد، أنيسة، عمر و إسماعيل، و كان أبوها من أعيان المدينة و مدرسا بالمدرسة الفرنسية الإسلامية لتلمسان (La Médersa)، صاحب مؤلفات عديدة...

تابعت دروسها الابتدائية و الإكمالية بتلمسان بين سنتي 1952 و 1954



الشهيدة مليحة حميدو، المدعوة رشيدة

في الثانوية التي تحمل حاليا اسمها، و كانت تتلقى دروسا في اللغة العربية بالمدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين "بدار الحديث" و في هذه

المؤسسة تعرفت على سيدي أحمد بن شكرة، الذي كان له تأثير كبير في مسارها السياسي.

التحقت بجبهة التحرير الوطني سنة 1958 و كلّفت بربط الاتصالات داخل ولاية تلمسان، فكانت تقوم بنقل الأسلحة الخفيفة و القنابل، لتعيّن بعدها سكرتيرةً لخلية سيدي شاكر جنوب المدينة، كما قامت بعمليات فدائية عن طريق مراقبة تحركات الدّوريات الفرنسية و جمع المعلومات المطلوبة. و بعد وفاة والدها سنة 1952 أثناء تأديته لفريضة الحج أصبحت مليحة حميدو تدير شؤون المنزل الذي أصبح فيما بعد مخبأ للمجاهدين مثل الشهيد "بن حبيب" الذي ظلّ في بيتها لعدة أيام، و كذلك مجموعة من قادة الثورة الّذين كانوا متجهين نحو وجدة عن طريق تلمسان.

و في 11 أفريل 1959 و على الساعة الواحدة و النصف صباحا، طوقت قوات الجيش الفرنسي حي "سيدي شاكر" و اقتحم العساكر منزل "حميدو" بتوجيه من جاسوس ملثم. و عندما أمرها الضابط الفرنسي بمرافقتهم، فاستأذنت لأخذ معطفها الذي لم يكن إلاّ حجة... و أخوها الذي حضر يومئذ للإدلاء بشهادته رآها تأخذ ورقة و تبتلعا، و في الطريق، حاولت مليحة الهروب من قبضة العساكر لكنها لم تلبث أن سقطت برصاص العدو في المنطقة "بن زقير"، فاستشهدت مليحة و لم تتجاوز سنّ السابعة عشر سنة مفضلّة الاستشهاد و هي تكتم أسرار الثورة على المجازفة و مواجهة التعذيب. و بتضحيتها هذه تكون مليحة قد أنقذت – ولا شك- أرواح الكثير من المجاهدين. لتكون بذلك المرأة التلمسانية، على غرار كل النساء الجزائريات اللآّتي شاركن بكل شجاعة و إصرار في مقاومة قوات العدو على جميع الجبهات.

مقتطف من أرشيف الاستعلامات الفرنسية العامة بخصوص نشاطات إحدى الشبكات النسوية بتلمسان

كانت هناك شبكة نسوية للاستعمالات تقودها " مـقّاوي عزيز خيرة" تساعدها ثلاث مسلمات طالبات في الثانوية وهنّ: بن قلة فريدة، و مشيش فاطمة، و بو عبد الله فاطمة الزهراء، و قد تعددت أدوارهّن. فمنذ شهر جويلية 1956 كنّ يقمنّ بجمع الأموال و الحليّ عبر أرجاء المدينة. غير أن مـقّاوي خيرة التي كانت معروفة لدى مصالح الشرطة – و هي ترتدي دوماً لباسا أوربيا- لا يمكنها المجازفة فكانت تُوكل بعض المهام إلى مساعداتها اللواتي كنّ في كثير من الأحيان تستغلّ جمالهن لاستدراج بعض الفرنسيين المسلمين في تلمسان نحو قرية سيدي بومدين و هناك يتكفلّ بهم أحد المجاهدين رميا بالرصاص.

و كان أعضاء هذه الخلية النسوية يقدّمن العلاج للجرحى من المجاهدين و كمثال على ذلك، في 31 جانفي 1957، و على إثر إلقاء قنبلة في شارع باريس على المركز العسكري لجنود الاحتلال، أُصيب بودغن سطمبولي –قائد العملية- بجروح، فنُقل إلى إحدى المنازل لتتولى مـقّاوي خيرة مهمة نقله في سيارة أجرة إلى منزل الدكتور " بابا أحمد" في شارع "Alfred de Musset"، لتلقّي الإسعافات الأولية، بعدها تم نقله إلى أحدى المنازل بالقرب من " La Villa Marguerite" أين مكث عدة أيام حيث كانت مـقّاوي تداوم على زيارته لتقدم له العلاج.

و من جهة أخرى، و بخصوص الاستعلامات، كان المدعُو "بيلام محمد" العامل بمقهى Benzaghou الواقعة في ساحة الكنسية، يعرف جبهة التحرير الوطني بإدارتها المحلية أشدّ المعرفة فكان في اتصال مستمر مع " حمادوش بومدين" الملقب بـ "ديدان" و "صلاح" و هو المسؤول عن الفرع الحضري و كان يُبلّغ عن بعض الموظّفين المشكوك في نشاطهم.

و قبل تاريخ 6 ديسمبر 1956 يوم فرار "بوحصيرة أحمد" الملقب بـ" تونسي" و الموظف السابق بمحكمة تلمسان، كان مكلفا بجمع المعلومات حول مصير الإرهابيين الموقوفين و حول الصفقات العقارية للمسلمين الذين كانوا يتهرّبون من دفع الضرائب، كانت هذه المعلومات توجّه مباشرة إلى "الماجور" بواسطة شخص ملقب بـ" بن حمادي غوثي" (الذي لم نتعرف عليه بعد)، و

بعد ذلك انتقل من فرع الاستعلامات إلى المنطقة السياسية العسكرية وناب عنه "تركي حسين مصطفى".

ترجمة عن النسخة الأصيلة

شهادات المؤلف

1. اليقظة المنقذة Vigilance salvatrice

أتذكّر أنه في مساء أحد الأيام وكنا في نواحي "زلبون"، كنا مجموعة متكوّنة من اثني عشر مجاهد، مختبئين في "البيخيرو" و نظرا لضيق المكان و الجوّ الخانق فيه، أي في المخبأ، فضلنا النوم خارجه تحت نجوم السماء رغم المجازفة الكبيرة. و في الصباح الباكر أيقضنا زوجة صاحب الدار التي قضت الليل في حراستنا و أنذرتنا بوجود دورية لعساكر العدو. أدخلتنا المخبأ "البيخيرو" و غطت المخبأ بالحطب و الأغصان ثم جلست أمام نار أوقدتها و كأنها تحضر الطعام، و لما قدم الجنود للتفتيش لم يجدوا أي أثر لنا فعادوا أدراجهم خائبين.

2. الشابة حورية و سي صالح

...كانت العمليات تتوالى الواحدة تلوى الأخرى... و خلال إحداها أُصيب "سي صالح" و للأسف بجروح، بعد أن ألقى قنبلة على الجنود الفرنسيين قتل على إثرها منهم، و كي نحميه من انتقام العدو نقلناه إلى منطقة "صفصاف" غرب تلمسان لدى عائلة "بارودي" بالقرب من مزرعة "كريبو"، هناك تلقى العلاج ترافقه الشابة " حورية مجاجي".

و ذات يوم، صادف أن طوقت قوات العدو المنزل، و لحسن الحظ كانت "حورية" متواجدة في المنزل إذ استطاعت بلباقتها أن تُلهي العساكر بإعداد القهوة بينما تسلل "سي صالح" المجروح إلى سطح المنزل بمساعدة أصحاب الدار، و هكذا تمكنا مرة أخرى من القرار بفضل فطنة فتاة مناضلة من نساء الجزائر المجاهدات.

صورة مثالية لبطلات الثورة التحريرية

1. جميلة بوحيرد

ولدت بطلة حرب التحرير جميلة بوحيرد سنة 1935 و نشأت في أحضان عائلة من الطبقة الوسطى، و أثناء دراستها بالمدرسة الفرنسية التحقت بصفوف جبهة التحرير الوطني و عملت فيها كضابطة اتصال و المساعدة الشخصية لياسف سعيدي بالجزائر العاصمة.

أصيبت جميلة بوحيرد في إحدى الاشتباكات و ألقي عليها القبض سنة 1957 و حُكم عليها بالإعدام، لتستفيد من العفو بعدها بفضل الحملة الإعلامية التي قادها كل من "جاك فرجاس" و " وجورج أرنو" في كتابهما "من اجل جميلة بوحيرد" الذي صدر في نفس السنة عن منشورات "Minuit" بالإضافة إلى هذا الكتاب نُشر كتاب آخر "la question" للكاتب Henri Alleg و الذي تعرض فيه إلى الرأي العام مسألة التعذيب الذي كان يمارس ضد المجاهدين و المناضلين من أجل استقلال الجزائر، لتستفيد في الأخير جميلة بوحيدر من العفو و الإفراج عنها سنة 1962 و هي لا تزالا على قيد الحياة.

2. حسيبة بن بوعلي

ولدت حسيبة بن بوعلي في جانفي 1938 في مدينة الشلف و نشأت وسط عائلة ميسورة الحال، فتابعت دراستها الابتدائية في مسقط رأسها، و بعد انتقال عائلتها إلى الجزائر العاصمة واصلت دراستها بثانوية "عمر راسم" حاليا التي برزت فيها بفضل فطنتها و ذكائها الحاد فصارت تجلب الانتباه.

أدركت حسيبة بن بوعلي حقيقة معاناة الشعب الجزائري من خلال رحلاتها إلى المناطق الداخلية للبلاد في إطار انخراطها في صفوف الكشافة الإسلامية، فالتحقت بصفوف الثورة سنة 1955 و عمرها 14 سنة، فكانت في البداية مساعدة اجتماعية حينما برزت بفضل كفاءتها سنة 1956 لما أصبحت عضوا ناشطا في

جماعة الفدائيين، مكلفة بصنع القنابل ونقلها، حيث استغلت وضيفتها بمستشفى مصطفى باشا، للحصول على المواد الكيمائية التي تدخل في تركيبة صنع القنابل.

كما ساهمت بقوة في تفعيل معركة الجزائر بعدما غادرت البيت العائلي نهائيا والتحقت بصفوف المجاهدين في القضية، و واصلت كفاحها إلى أن اكتشفت قوات العدو مخبأها فحاصرت المكان، و أمام رفض حسيبة و مرافقيها تسليم أنفسهم، قصفت القوات الفرنسية المبنى بكامله و ذلك في 8 أكتوبر 1957.

3. زهرة ظريف

ولدت زهرة ظريف سنة 1934 وسط عائلة برجوازية في نواحي تيارت، على بعد 200 كلم جنوب شرق وهران، و لما بلغت سنّ العشرين ثارت ضد الاستعمار و معاملاته السيئة، لتلتحق بصفوف الثورة في 30 سبتمبر 1956 و هي طالبة بكلية الحقوق بالجزائر العاصمة، فكُلفت بوضع قنبلة في مقهى (Milk Bar) الذي كانت تقصده "الأقدام السُّود"، لتُخلّف العملية مقتل ثلاثة نساء واثنتي عشر جريحا. و قد تم القبض عليها مع ياسف سعدي بحي القصبة في أوت 1958، و حُكم عليها عشرون سنة أعمالا شاقة بتهمة الإرهاب، فزجّ بها في سجن "بربروس" حيث عاشت المعاناة، و قبل أن يُطلق "دي غول" سراحها، نشرت شهادة في السجن تحت عنوان

"La mort de mes frères"

4. الشهيدة مليكة ڤايد

ولدت مليكة ڤايد بمنـڤاش و هي إحدى قرى "بني يعلي" بالقرب من مدينة ڤنزات بمنطقة سطيف، وسط عائلة من المعلّمين من أصل ريفي، لتستقر في بداية طفولتها في بلكور بالعاصمة، انخرطت سنة 1955 في صفوف جيش التحرير الوطني (ALN) كممرضة في جبال الولاية الثالثة غير أنّها استشهدت و السلاح في يدها في شهر جوان 1957 في "مخبأ أعدّ لعلاج المجاهدين" بمنطقة "ياكوران".

و لقد أدلت مجاهدة من الولاية الرابعة (بعد لقائها بالعقيد عميروش) بشهادتها لجريدة "المجاهد" المؤرخة في 22 جوان 1959. قائلة:

روى عميروش أن مليكة رفقة ممرضة أخرى (دنيا) كُلّفنا بحراسة أحد المخابئ المعدّة للعلاج، و في أحد الأيام اقتحمت قوات العدو المخبأ و أطلقت النار على الممرضتين و حتى على الجرحى فسارعت مليكة بأخذ الرشاش و خرجت من المخبأ و هي تطلق النار بكثافة حتى أفرغت الذخيرة، غير أنها لم تستطيع المقاومة فسقطت شهيدة...

5. جميلة بوباشة

ولدت جميلة بوباشة بالجزائر العاصمة، و كانت عضوا في جبهة التحرير الوطني أثناء معركة الجزائر العاصمة، أُلقي القبض عليها في أفريل 1959 بتهمة وضع قنبلة بمقهى جامعة الجزائر، فحُكم عليها بالإعدام في نفس السنة.

و لأنّها أحسّت بدوس كرامتها كامرأة و كإنسانة بسبب التعذيب الذي تعرضت له، رفعت دعوة قضائية ضد Pierre Messmer وزير الدفاع الوطني، و الجنرال Ailleret القائد العام للجيش الفرنسي بالجزائر، فهزّت مأساتها ضمير الأوساط الثقافية في فرنسا، ما جعل Simon De Bouvoir تدافع عنها. لكن زج بها في سجني Caen ثم Rennes، ليُطلق سراحها سنة 1962.

6. **باية، زهرة، فاطمة و أخريات** (مقتطف من مقال للصحفي خالد لمنور)

جنّدت ثورة نوفمبر 1954، شعبا بكامله، شعبا طيبا و كريما، دخل الثورة بجميع شرائحه من أجل الاستقلال باستثناء الخونة أو من دخولها من أجل مصالح استثنائية، و وسط هذه المواجهة المصرية احتلت المرأة مكانة هامة و بدون مقابل خاضت الثورة بروح كبيرة من التضحية. فكانت النّساء الجزائريات مجاهدات صارمات حالهنّ حال الرجال، نذكر من بينهنّ: قماط باية، لغا زهرة، و طاهير فاطمة.

في أوت 1959 انطلقت عملية (Jumelle) و هي عملية تمشيط واسعة النطاق، للقضاء على الولايات الأولى، الثانية، و الرابعة، و في هذا اليوم جري اشتباك لعدة ساعات في جبال آيت عيسى بين الكتائب الفرنسية و جيش التحرير الوطني، فأصيب المجاهد "صالح نتكيتونت" برصاصة في فخذه الأيسر، و بدأ دمه يسيل بغزارة واشتدّ به الألم، و بعد جهد جهيد استطاع أن يجر نفسه إلى مخبأ آيت عيدالي و هو في غيبوبة.

و فجأة سارعت نحوه ثلاث نساء، اثنتان كانتا تسعفانه بالدواء، و الثالثة كانت تمسك ببندقيته، و تفتح حزام الخراطيش، و أكبرهنّ سنّا كانت تطمئنه قائلة: "تشجع تشجع، سننقلك إلى مكان آمن لمعالجتك". و كنّ يقمن بحركات سريعة و متناسقة كما لو كانت لهنّ تجربة طويلة في الإسعاف.

بينما كانت اثنتان منهنّ تساعدانه على المشي تتقدمهم الثالثة لتأمين الطريق، و هنّ يمشين في الغابة إلى أن عادت إحداهنّ مسرعة لتنذرهم عن خطر يداهمهم و هو وجود دورية للعدو غير بعيدة، و بسرعة فائقة أخبأن الجريح برزمة من الحطب، بينما دفنّ السلاح و الخراطيش على بعد بعض الأمتار كما نثرن كميّة من التبغ و الفلفل الأحمر ذي الرائحة الشديدة و الممزوج بالرماد لتخفيف حدّة لونه، فكانت هذه حيلة أردن بها خداع الشمّ عند الكلاب، فيمر الجنود قريبا من المخبأ دون أن تراودهم شكوك في وجود الأسلحة.

و بعد فترة قصيرة استعاد المجاهدون السلاح و الذخيرة و واصل الجريح الطريق المؤدّية إلى المخبأ رفقة النساء الثلاثة كي يقدّمن له الإسعافات الضرورية.

و بهذا انتهت مهمة الجنديات الباسلات الثلاثة...



نساء عضوات في جبهة جيش التحرير الوطني خلال الاستعراض الكبير الذي نظمته الجبهة بمدينة وجده المغربية وبحضور المجاهد أحمد بن بلة



نساء جزائريات أدين مهامهن خلال حرب التحرير من "الفدا" إلى ميدان الحرب



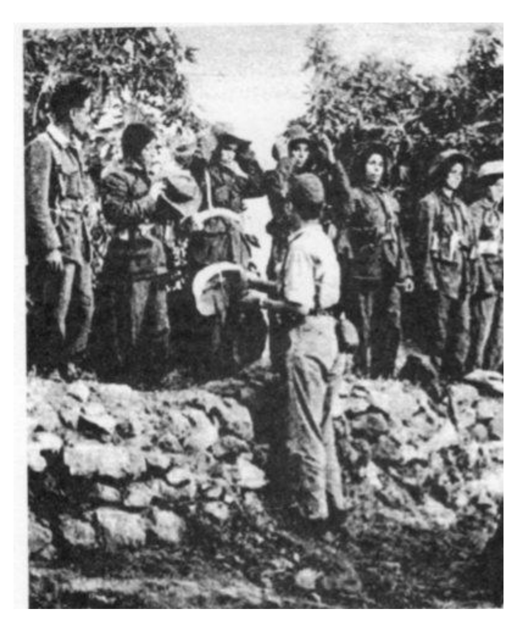
ممرضات جزائريات يعالجن المجاهدين



مجاهدات جزائريات يتدربن على القتال خلال حرب التحرير



مجاهدات في استعدادهن لحمل السلاح ضد العدو



مجاهدات رفقة مجاهدين جزائريين يستمعون للتعليمات